أصول النحو التحويلي في النحو العربي

الأستاذ محمد بوعمامة
معهد اللغة العربية و آدابها
جامعة باتنة

أولا: النحو التحويلي (عرض موجز).

تعد نظرية النحو التحويلي واحدة من النظريات اللغوية الحديثة التي ظهرة في النصف الثاني من القرن العشرين، وبالتحديد في سنة 1957، وهي السنة التي ظهرة فيها كتاب " البنى التركيبية" syntactic structures لصاحبه "نوعم تشومسكي" Noam Chomsky . ولقد أحدثت هذه النظرية ثورة كبيرة في علم اللغة وقلبت موازين الدراسات اللغوية السائدة عند أصحاب المنهج الوصفي.

والتحويل " ينص على إمكانية تحويل جملة إلى جملة أخرى وإعتماد مستوى أعمق من المستوى الظاهر في الكلام، وبإمكانه أن يكشف المعاني الضمنية للجملة"[1] ، وبمعنى أخر فإن التحويل يقوم بتحويل البنى العميقةDeep structures إلى بنى سطحية surface structures، وهذه البنى الأخيرة هي التي يتكلمها المتكلم ويسمعها السامع.[2]

ويرى "تشومسكي" أن البنية العميقة عبارة عن المعنى الموجود في ذهن المتكلم، وتقاس بما يسمى بالكفاءة Compétence لدى الفرد المتكلم للغته الأم وتجعله قادرا

---

[1] ميشال زكريا: الألسنة(علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ط. ج. دار الكتاب بيروت 1983 م ص 206

[2] R. HUDDLESTON An introduction to transformational syntax Longman paper back 1976 . p 47

على إنتاج جمل متعددة لم يسبق له التلفظ بها أو سماعها. وهذه الكفاءة تولد مع الطفل و عن طريقها يمكنه تعلم أية لغة في العالم.[3]

والشيء الذي يجب تأكيده هنا هو أن الكفاءة اللغوية يتبعها مايسمى بالأداء الكلامي Performance، والذي يعد ترجمة للبنى العميقة الموجودة في ذهن المتكلم،ومالجمل التي يتكلم بها المتكلم ويسمعها السامع إلامظهر سطحي للمعنى العميق. وعلى هذا الأساس فالكفاءة اللغوية تخص البنية العميقة، في حين يخص الأداء الكلامي البنية السطحية[4].

ومن هذا المنطلق فإن"تشومسكي" يرى بأن المادة التي تدرسها القواعد التحويلية هي مجال الدراسة والبحث، ويؤكد على أن العلاقات الموجودة بين مختلف أجزاء الجملة أعمق من تلك العلاقات التي تظهر على مستوى البنية السطحية[5]

وقبل أن نشرع في تحليل هذه النظرية، نرى أنه من الضروري ذكر الرموز التي إستعملها تشومسكي في نظريته، وهذه الرموز هي[6] :

1- الجملة ⟵ مركب اسمي + مركب فعلي — 1.S ⟶ NP + VP

2- المركب الفعلي ⟵ فعل + مركب اسمي — 2 VP⟶ Verb +NP

3- المركب الاسمي { مركب إسمي(مفرد) / مركب اسمي(جمع) } — 3 NP { NP(Sing) / NP(Plu)

---

[3] نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت 1979 م ص 174

[4] N. Chomsky : Aspects de la théorie syntaxique . Traduction Française ED Seuil. Paris 1970. p61

[5] انظر نايف خرما: المرجع السابق ص 55، وانظر محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ بالرياض 1981 م، ص 25

[6] انظر جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1988 ص136 وانظر عبده الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية1985 ص137 .

4- مركب اسمي (مفرد) أداة تعريف + اسم 4-NP(Sing) ⟶ T+ N

5-مركب إسمي(جمع)=أداةتعريف+إسم+علامة الجمع 5-NP(plu) ⟶ T+N+S

6-أداة تعريف ⟵الـ 6.T → the

7-الإسم←(رجل،كرة، باب...) 7-N → (man. ball.door..)

8-الفعل←(فعل مساعد+فعل 8-Verb ⟶ Aux+V

9-الفعل←(ضرب، أخذ، أكل...) 9-Verb ⟶ (hit. took. eat...)

10-الفعل المساعد←(الزمن وما يتعلق به(be+ing) (have) Tense(+M)+ 10-Aux →

11-زمن الفعل← مضارع وماضي 11-Tense ⟶ present. past

12- صيغ الفعل 12-M ⟶ (will. can. may. shall.must)

نلاحظ من خلال هذه المجموعة من القواعد التي وضعها"تشومسكي" أنها تعطي فرصة للإختيار أكثر من تلك التي وضعها في النحو التوليدي ذلك لأنه أضاف عناصر أخرى جديدة و هي: الأفراد،و الجمع،و الأفعال المساعدة، وكذلك عنصر الزمن الذي يمكن من جعل مبنية المعلوم وأخرى للمجهول. و عملية التحويل هذه تعتمد طريقتين أساسيتين هما:

الطريقة الأولى: وهي عبارة عن تحويل جملة إلى جملة أخرى، وذلك في مثل: حضر الطلاب المحاضرة، فهذه الجملة يمكن أن تحول إلى: حضر الطالب المحاضرة.

الطريقة الثانية: وهي أكثر إستعمالا في النحو التحويلي، وهي أن الجمل كلها تعود إلى بنية عميقة واحدة، ونلاحظ ذلك في المثال التالي:

1- ألقيت المحاضرة

فهذه الجملة يمكن أن تحول إلى :

2-ألقى الأستاذ المحاضرة.

3-الأستاذ ألقى المحاضرة.

4- المحاضرة ألقاها الأستاذ.

5- الذي ألقى المحاضرة هو الأستاذ.

6- الأستاذ هو الذي ألقى المحاضرة.

وإذا كانت الجمل التي ذكرناها تمثل البنية السطحية للجملة رقم(1) التي تمثل البنية العميقة،فإن هناك جملا أخرى تمثل البنية العميقة لجملة واحدة سطحية، ونمثل ذلك بالمثال الذي إختاره تشومسكي:

1-خلق الله غير المنظور العالم المنظور.

فهذه الجملة تمثل البنية السطحية للبنى العميقة التالية:

2- خلق الله العالم .

3- الله غير منظور.

4- العالم منظور.

" ويعتبر أن الجملة(1) هي جملة عائدة إلى البنية السطحية وتتكون من الجمل الثلاث (2) و(3)و(4)، والتي هي عائدة بالمقابل إلى البنية العميقة. بمعنى آخر إن الجملة (1) في رأيه متحولة من الجملة (2)و(3)و(4) بواسطة أكثر من تحويل واحد".[7]

ومن هنا فإن تشومسكي يرى أن مهمة التحويل تكمن في معرفة معاني الجمل عن طريق الإختيار.[8]

ولقد صور طريقة توليد القواعد في البنية العميقة ثم تحويلها إلى البنية السطحية بالشكل التالي:[9]

---

[7] ميشال زكريا: المرجع السابق ص267-268

[8] انظر: N. CHOMSKY OP cit , page 43

[9] انظر تفصيل ذلك في: N. CHOMSKY : SYNTACTIC STRUCTURES THE HAGUE mouton 1960, pp64-82

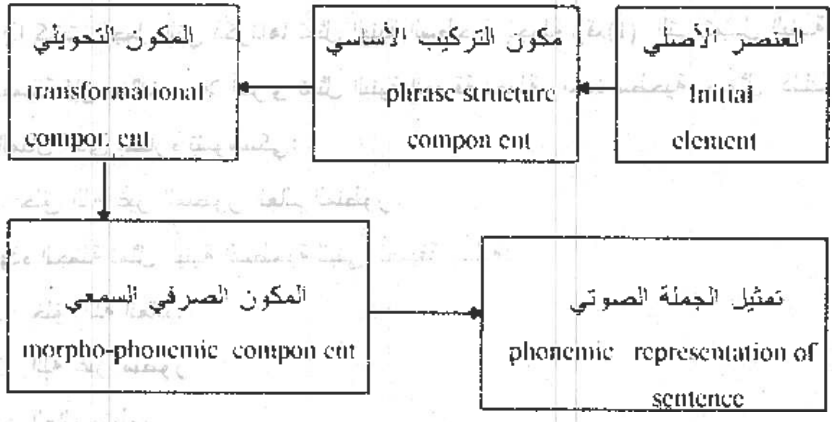

فالصندوق الأول عبارة عن مجموعة السلاسل التحتية التي تكون الجملة، أما الصندوق الثاني فيمثل القواعد التحويلية والتي يقسمها" جون ليونز" إلى قسمين: قواعد إجبارية Obligatory، وأخرى إختيارية Optional [10]

في حين تتمثل مهمة الصندوق الثالث في تحويل الجمل من صورتها التركيبية كسلسلة مكونة من كلمات ومورفيمات - إلى الصورة الفونولوجية-كسلسلة مكونة من الفونيمات - وبذلك تنتهي الجملة إلى مستويين من مستويات التحليل. [11]

بعد هذا العرض الموجز للنظرية التحويلية وأهم الأسس التي تقوم عليها، نحاول الآن التعرض لأنواع التحويل في هذه النظرية وذلك حسبما هو موجود عند علماء

---

[10] انظر جون ليونز: المرجع السابق ص151

[11] نفسه والصفحة نفسها

اللغة التحويليين. فهذا "شارل فيلمور" C Fillmor يرى أن أنواع التحويل يمكن تحديدها كما يلي:(02)

1-التحويل بالحذف: Délétion ، وذلك في مثل:

-كيف زيد؟

جوابها يكون: دنف(أي مريض). هنا نلاحظ حذف كلمة "زيد"

2- التحويل بإعادة الترتيب: Permutation ، وذلك في مثل:

-كان عندي هذا الرجل ليلة البارحة.

فهذه الجملة تحول بعد ترتيب عناصرها إلى:

- هذا الرجل كان عندي ليلة البارحة.

3-التحويل بالنسخ:Copying، ومعناه هنا التكرار ، وذلك في مثل:

- مهلا يا هذا.

يمكن أن تحول إلى: مهلا ياهذا مهلا.

4-التحويل بالتقديم: Fronting، وذلك في مثل:

-أنت كريم .

تحول إلى: -كريم أنت. وهنا نلاحظ تقديم الخبر على المبتدأ.

5- التحويل بالإستفهام: Interrogative، مثل:

- ألقى الأستاذ المحاضرة.

تحول إلى : هل ألقى الأستاذ المحاضرة؟ أو : من ألقى المحاضرة؟

أما "إ. باخ" E. Bach فيرى في كتابه: المدخل إلى النحو التحويلي An introduction to transformational grammar أن أنواع التحويل هي:(03)

---

(02) C. Fillmore : A preposal Concerning english preposition

Monographie series on language and linguistics pp19-31

(ملاحظة: لقد حولنا إلى اللغة العربية)

(03) انظر: E. Bach : An introduction to transformational grammers New-york, hall rinhart 1964, p70

1- التحويل بالتعويض:Replacement ،وذلك في مثل:

- هل رأيت زيدا؟

جوابها: نعم رأيته. بلاحظ تعويض كلمة (زيد) بضمير يعود عليها.

2-التحويل بالزيادة:Addition ، وذلك في مثل:

- الثوب أعجبني.

تحول إلى:- إشتريت الثوب الذي أعجبني، بزيادة(إشتريت) و (الذي)

3- التحويل بالإختصار: Reduction، في مثل:

-إيتوا إلي بهذا الكتاب؟

تحول إلى:-إلي بهذا الكتاب؟ تم حذف الفعل (إيتوا) في الجملة الثانية. ونلاحظ هنا أن التحويل بالإختصار يشبه التحويل بالحذف.

4-التحويل بالتوسيع: Expansation، في مثل:

- العلم نافع.

تحول إلى:-لاجرم أن العلم نافع. بزيادة عبارة (لاجرم أن) في صدر الجملة وذلك من أجل الحصول على جملة أوسع.

وهناك أنواع أخرى من التحويل نوجزها فيما يلي:

1- التحويل بالنفي: Négative،في مثل:

- هل رأيت زيدا؟

تحول إلى: لالم أره.

2-التحويل بالبناء للمجهول:Passive، في مثل:

- حطم الولد الزجاج.

تحول إلى:- حطم الزجاج.

3-التحويل بتحريك الموقع:Exatraposition ، في مثل:

- أفوض أمري إلى الله. تحول إلى: إلى الله أفوض أمري.(و هو يشبه التحويل بالتقديم)

وفي سنة1965 أحدث تشومسكي تطورا في عملية النحو التحويلي وذلك بإضافة العنصر الدلالي، لأنه رأى أن الجملة جزء أساسي في التحليل النحوي، والمتكلم المتمكن من قواعد لغته هو الذي يمكنه إقران الصوت بالمعنى. ولقد وضع تشومسكي بهذا الصدد الشكل التالي:

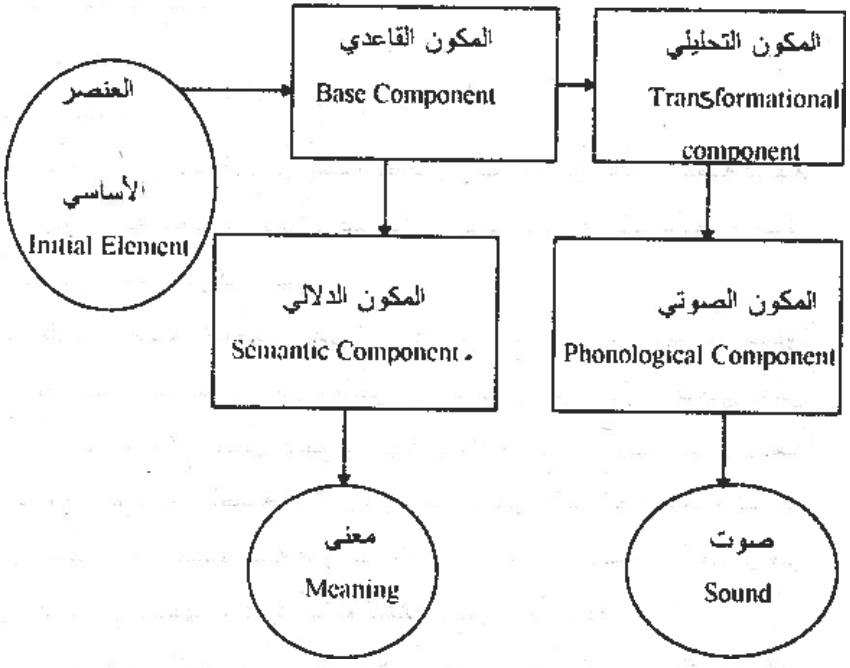

يلاحظ أن تحليل الجمل عند تشومسكي يتم من خلال ثلاثة مكونات أساسية وهي: المكون الفونولوجي والمكون التركيبي، والمكون الدلالي، وهذه المكونات تعد حلقة وصل بين الأصوات والمعاني. وهكذا فإن البنى العميقة للجمل إنما هي حصيلة

المكونات الأساسية التي يمثلها الصندوق الثاني والمكونات التحويلية التي يمثلها الصندوق الثالث. وبعبارة أخرى فإن المكون الدلالي مهمته تحديد معنى كل تركيب لغوي إستنادا إلى المعاني الجزئية التي تمثلها المورفيمات.[14]

ومن خلال الشكل السابق يتضح لنا أن هناك علاقة وثيقة بين المكون الدلالي والبنية العميقة، وهذه الأخيرة ما هي - في حقيقة الأمر إلا صورة أصلية للبنية السطحية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المكون الدلالي مرتبط بالجملة الصحيحة نحويا فقط، وبالتالي فهو يميز بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة.

فإذا أخذنا الجملتين التاليتين:

1 - قرأت الكتاب.

2-قرأت الفضاء.

فإنه يتضح لنا أن الجملة الأولى سليمة نحويا ودلاليا، وعلى عكس الجملة الثانية التي لاتحمل دلالة معينة، على الرغم من أن البنية العميقة لكل منهما واحدة: مركب فعلي+ضمير+مركب اسمي.

" وإذا ذكرنا أن متكلم اللغة قادر على أن ينتج عددا غير متناه من الجمل لم يسبق له التلفظ بها أو سماعها من قبل، وعلى أن يتفهمها، يتبين لنا أنه ينبغي على هذه الآلية التفسيرية*. تحليل كيف أنه بإمكان متكلم اللغة أن يفهم جمل اللغة اللامتناهية... فوصف الجملة الدلالي من هذا المنظار يكون جزءا من الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة. فمتكلم اللغة قادر على أن يحكم على أن الجملة ما تحتوي في ذاتها إلتباسا في دلالتها عائدا إلى دلالة كلماتها وليس إلى تركيبها..."[15]

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن تشومسكي يؤكد على ضرورة استقلال التركيب عن العناصر النحوية الأخرى التي تلعب أدوارا تأويلية. والعناصر النحوية هذه هي

---

(14) انظر: N. CHOMSKY : Aspects ... , cit. p 47.

* المقصود بالآلية التفسيرية هو مجموع القواعد النحوية بالإضافة إلى المكون الدلالي

(15) ميشال زكريا: المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية مجلة الفكر العربي المعاصر ع 18-19 ص15

الأساس الذي بنى عليه تشومسكي قواعده. أما العناصر التحويليةفمهمتها معرفة معاني الجمل عن طريق الإختيار.[16]

على العكس من "لايكوف" lakoff الذي يرى أنه لايمكن الفصل بين التركيب والدلالة، أما التحويلات والضوابط الإشتقاقية Derivational Contraints فمهمتها الربط بين المكون الدلالي والبنى السطحية.[17]

ثانيا: أصول هذه النظرية في النحو العربي.

رأينا فيما مضى أنه يوجد في اللغة جمل مترابطة لاتستطيع تفسير تلك العلاقة القائمة بينها من خلال دراسة العناصر فحسب، إنما لابد من مفهوم يقوم على البحث في علاقة الجمل بعضها ببعض، وهذا المفهوم هو التحويل. والتحويل معناه البحث في البنى التركيبية للجمل وهي تلك البنى العميقة الموجودة في ذهن المتكلم، أما البنى الموجودة في الكلام العادي فتعد بنى سطحية لاغير.[18]

وإذا نظرنا في لغة الطفل فإننا نجد أن القواعد النحوية المكونة لها هي قواعد البنى السطحية. فالأسماء والصفات والأفعال والأحوال التي نلاحظها في لغته هذه ما هي إلا أجزاء الكلام الرئيسية، وقد ينتج الطفل جملا بسيطة وأخرى مركبة وأكثر تعقيدا من البسيطة، غير أن البنى كلها تبقى بنى سطحية[19]. وعليه فإن البنى العميقة للجمل تعني" الكشف عن تنسيق القواعد اللغوية النابعة من ذات المتكلم أو من القدرة اللغوية الفطرية".[20]

---

(16) انظر: *Chomsky : Aspects . op . cit . p43

(17) انظر: G lakoff: On générative Sémantics. Cambridge University: press - 1971.p232

(18) J. Katz : Linguistic philosophiy : the Underlying reality of language and its philosophical Inuort. Allen and Unwin. london 1972. pp4.11

(19) انظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1985 ص 144

(20) Chomsky : Cartisian linguistics : A chapter in the history of rationalistthought. Harper and pow . new-york 1966.p33

والبنى العميقة عند تشومسكي هي البنى التي تؤول دلاليا، أما البنى السطحية فعبارة عن ذلك التتابع الذي نلحظه في الكلام من فونيمات ومورفيمات، و هذه البنى(أي العميقة) لاتظهر في كلامنا العادي إنما هي موجودة في الذهن في أثناء عملية التكلم.[21]

وعملية التحويل هذه تمر عبر أربع مراحل أساسية، وهي عبارة عن عمليات فكرية لكل منها قانونها الخاص. أما المرحلة الأولى فتترجمها الكفاءة اللغوية لدى الفرد، وتعد المرحلة الأساسية الأولى التي تتشكل فيها البنى العميقة، ويحكمها قانون الشمول. وفي المرحلة الثانية تأتي عملية إنتقاء المفردات التي تتكون منها التراكيب النحوية ويحكمها قانون المفردات Lexical rule. ويتم في المرحلة الثالثة تحويل البنية العميقة-بواسطة المفردات -إلى بنية سطحية، ويحكمها قانون التحويلTransformational rule. أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي ترجمة البنى السطحية إلى واقع كلامي بواسطة الأصوات ويتحكم في ذلك القانون الصرفي الصوتي Morphophonemic rule.[22]

وعلى هذا الأساس نجد أن تشومسكي يعارض دراسة اللغة من الخارج أي على المستوى السطحي المنطوق به فعلا، لأن البنى السطحية-في نظره- أساسها البنى العميقة، ومن ثم إتجه إلى دراسة التركيب النحوي بغية الوصول إلى هذه الحقيقة. يقول: " إن هذا الشكل الجديد من نظام القواعد أكثر قدرة في جوهره من نموذج الحالة المحدودة الذي رفضناه، وأن مفهوم المستوي اللغوي الذي يرتبط به يختلف في أوجه جوهرية".[23]

وهكذا يتضح أن تشومسكي يبدأ في تحليله بالجملة كأساس في عملية التحليل، ويعرج منها إلى المعاني من جهة ثم إلى الأصوات من جهة أخرى، ويعتبر هذا

---

[21] محمود فهمي زيدان: المرجع السابق ص 144. وانظر كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة مطبعة الأنجلو المصرية القاهرة 1985 ص ص 249-250

[22] أنظر : احمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي . دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية 1985 ص 49

[23] نوع تشومسكي : البنى النحوية، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1987 ص37

الشكل(أي الأصوات) الذي يشكل الجملة آخر مظهر من مظاهر اللغة لأنه الشكل الخارجي الظاهر المستعمل في عملية الكلام".[24]

وإذا كان تشومسكي يدرس التراكيب النحوية بغية الوقوف على دلالة الجمل، فإن عبد القاهر الجرجاني قد فصل القول في هذا المجال، وأكد أن توالي الحروف لا يؤدي إلى معنى، ومن ثم يجب أن نفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة، وذلك أن نظم الحروف هو توالبها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتجرى في نضمه لها ما تراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال"ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق".[25]

وإذا كان تشومسكي يرى أنه دراسة التراكيب النحوية دراسة وافية شاملة بما فيها من الأصوات والنظام الصرفي والدلالة، هي جوهر التحويل الذي بواسطته نكشف عن البنية العميقة الموجودة في ذ[illegible] المتكلم. إن عبد القاهر الجرجاني قد أدرك بفكره الثاقب أن الكلام أصله معان موجودة في النفس ثم ترجمت إلى الواقع بواسطة تتابع كلمات عديدة. ومن هنا نجد أن المعاني الموجودة في النفس تمثل البنية العميقة عند عبد القاهر. أما الكلام العادي بالنسبة له فيمثل البنية السطحية. يقول: " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل. وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض ، وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويق والنقش وكل ما يقصد به التصوير"[26]. ويبدو أن

---

[24] كريم زكي حسام الدين : أصول تراثيه في علم اللغة ص68

[25] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز : : المعرفة للطباعة والنشر بيروت 1978 ص40

[26] المرجع نفسه ص 41

عبدالقاهر كان إهتمامه بالبنية العميقة وليس بالسطحية، ذلك إدراكا منه للعلاقة القائمة بين الفكر واللغة. فلقد وجد أن البنية السطحية نتيجة آلية للمعاني الموجودة في الذهن.[27] يقول: "لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي أن لايختلف حال إثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسا ن بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر".[28]

ويؤكد عبد القادر على أن النظم-في عمومه- ما هو إلا تلك الأحكام النحوية التي عن طريقها تستنبط المعاني، وبتعبير آخر نجده لايفرق بين معاني النحو والنظم. يقول "فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الإسم إلا وهو معنى من معاني النحو... فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه...".[29]

وهكذا نجد أن معاني النحو عند عبد القاهر الجرجاني شئ أساسي في عملية النظم، وهي تشمل علم النحو والصرف، وأيضا نظام الأصوات ونظام المعاني. وهو بذلك يكون قد وضع نظرية شاملة لكل القواعد التي يتألف منها النظم.[30]

ولقد خاض في هذه المسألة كذلك لغويون عرب، فوجدوا أن المعاني أساس النحو وليس العكس. فهذا المبرد يقول: "كل ما صلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فهو مردود".[31]

وهذا ابن هشام يقرر أنه يجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا أو مركبا، وذلك لأنه إذا نظر في ظاهر اللفظ ولم ينظر في المعنى حصل الفساد، وذلك في مثل قوله تعالى(أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا

---

(27) وليد محمد مراد : تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام . مؤسسة الإيمان بيروت 1984 ص 284

(28) دلائل الإعجاز ص 41-42

(29) المرجع نفسه ص 64

(30) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ص 285

ما نشاءُ)[32] ،" فإنه يتبادر إلى الذهن عطف (أن نفعل) على (أن نترك) وذلك باطل، لأنهم لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم مايشاؤون، وإنما عطف على (ما)، فهو معمول للترك ، والمعنى أن نترك أن نفعل ... وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى "أن" والفعل مرتين وبينهما حرف العطف".[33]

وهكذا نجد أن النحويين العرب يعولون " على المعنى معولا كبيرا، ويمثل التفاتهم إلى المعنى عامة والمستوى الدلالي خاصة ملحظا ثابتا يفزعون إليه ويصدرون عنه في التفسير النحوي وخاصة إذا تخلف التفسير على المستوى النحوي الخالص، واستيعاب أمثلة ذلك - في كتبهم- متعذر كثرة واستفاضة".[34]

نصل الآن إلى الحديث عن أهم أنواع التحويل في اللغة العربية، وهي أنواع وجدناها في كتب القدماء من النحويين، تشبه إلى حد كبير تلك الأنواع التي وجدناها في نظرية تشومسكي اللغوية.

1-**التحويل بالحذف**: وسببه الميل إلى السهولة واليسر، وذلك بحذف عناصر لغوية. ولقد أعطى سيبويه أمثلة عديدة لقواعد الحذف، منها حذف الحرف وحذف المبتدأ وغيرذلك . يقول في حذف الحرف:" وقال رجل من الأنصار :

الحافظوا عوْرة العشيرة لا يأتيهم منْ ورائنا نطفُ

لم يحذف النون للإضافة، ولايعاقب الإسم النون، لكن حذفوها كما حذفوها من اللذين والذين حيث طال الكلام، وكان الإسم الأول منتهاه الإسم الآخر".[35]

---

(31) المبرد : المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة 1385 هـ - 1388هـ 311/4

(32) سورة هود /87

(33) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة (بلاتاريخ) ص 583

(34) نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن 1987 ص 73

(35) سيبويه: الكتاب : تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1977-1983 ، 185/1

ومن العلماء الذين فصلوا القول في الحذف " أبو منصور الثعالبي"، وقد خصص في كتابه"فقه اللغة"فصلا في الحذف والإختصار، وجاء فيه بأمثلة من القرآن الكريم وذلك في مثل قوله تعالى:

كلا إذا بلغت التراقي).[36] وفي قوله (حتى توارت بالحجاب)[37]، وفي قوله(كل من عليها فان)[38]

" فحذف النفس والشمس والأرض إيجازا واختصارا".[39]

كما تحدث أيضا عن الإضمار، والغاية منه التخفيف واليسر، وذلك في مثل قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي.[40]

"فأضمر "أن" أولا ثم أظهرها ثانيا في بيت واحد، وتقديره ألا أيهذا الزاجري أن أحضر الوغى".[41]

وتحدث السيوطي كذلك عن الحذف والاختصار فقال :" ومن سنن العرب الحذف والاختصار، يقولون: والله أفعل ذاك، تريد لأفعل . وأتانا عند مغيب الشمس، أو حين أرادت أو حين كادت تغرب"[42]

2-**التحويل بالتقديم والتأخير**: وهو إحدى مسائل التحويل بإعادة الترتيب في نظرية تشومسكي التحويلية. ولقد تحدث علماء العربية في قضية التقديم والتأخير حديثا مستفيضا، وأكدوا أنها تلعب دورا هاما في تغيير المعنى. وهذا سيبويه يشير هذه القضية في كتابه فيقول :"... وتقول ما كان فيها أحد غير منك ، وما كان أحد مثلك فيها ، إذا جعلت(فيها) مستقرا ولم تجعله على قولك: فيها زيد قائم ، أجريت

---

[36] سورة القيامة /26

[37] سورة ص /32

[38] سورة الرحمن /26

[39] أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1318 هـ ص222

[40] في شرح المعلقات السبع وردت رواية هذا البيت كما يلي: ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى.

[41] أبو منصور الثعالبي: المصدر السابق ص 223

[42] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين القاهرة 1958، 331/1

الصفة على الإسم ، فإن جعلته على قولك :فيها زيد قائم ، نصبت. تقول: ما كان فيها أحد خيرا منك، وما كان أحد خيرا منك فيها. إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخرت الذي تلغي كان أحسن...".[43]

نلاحظ في أمثلة سيبويه كلمات: أحد ، وخير، وفيها، وهي كلمات تتقدم وتتأخر بعضها عن بعض. وكلما كان التقديم أو التأخير تغيرت حركات الإعراب ، وبالتالي تغير المعنى، وذلك تبعا للكلمة المركز عليها في الكلام، أو الكلمة المراد تعيينها من حيث المعنى.

ويخصص إبن السراج في كتابه الأصول بابا تحت هذا العنوان، أي باب التقديم والتأخير ، وطرح فيه قضايا عديدة، منها: تقديم المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى، ويشير إلى أن هذه القضية تعود إلى المتكلم نفسه، فهو أحيانا يقدم وينوي التأخير، وأحيانا أخرى يؤخر وفي نيته التقديم. يقول :"أما تقديم المضمر على الظاهر الذي يجوز في اللفظ فهو أن يكون مقدما في اللفظ مؤخرا في معناه ومرتبته وذلك نحو قولك:" ضرب غلامه زيدٌ .كان الأصل: ضرب زيدٌ غلامه، فقدمت ونيتك التأخير، ومرتبة المفعول أن يكون بعد الفاعل، فإذا قلت: "ضرب زيدا غلامُه" كان الأصل: ضرب غلامُ زيد زيدا، فلما قدمت "زيد" المفعول قلت: ضرب زيدا، قلت غلامُه، وكان الأصل: غلام زيد، فاستغنيت على إظهاره لتقدمه. قال الله عز وجل : (وإذ ابتلى إبراهيم ربُه بكلمات)، وهذه المسألة في جميع أحوالها لم تقدم فيها مضمرا على مظهرا، إنما جئت بالمضمر بعد المظهر إذا أستغنيت عن إعادته...".[44]

كما أثار إبن فارس هذه القضية في كتابه" الصاحبي" وأكد على أن الكلام قد يأتي مقدما وهو في المعنى مؤخر، وقد يأتي مؤخرا وهو في المعنى مقدم ، يقول:" من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم، كقول ذي الرمة:

مايالُ عينك منها الماءُ يَنسكبُ

---

[43] سيبويه: الكتاب 1/ 55 56

[44] إبن السراج: الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة بيروت 1987 ، 238/2

أراد ما بال عينك ينسكب منها الماء.

وقد جاء مثل ذلك في القرآن، قال الله جل ثناؤه(ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب.[45] وتأويله - والله أعلم-ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلافوت، لأن الفوت يكون بعد الأخذ ".[46]

ومن أنواع التقديم والتأخير في اللغة العربية تلك التي ذكرها ابن جني، ونجدها في المفعول، والظرف، والحال، والإستثناء.فمن أمثلة تقديم المفعول على الفعل قولك : زيد ا ضربَ عمرُو، والأصل، ضرب عمرُو زيدا، ويجوز: ضرب زيدا عمروٌ.

وفي الظروف قولك : قام عندك زيد، وعندك قام زيد . وفي الحال قولك: جاء ضاحكا زيد، وضاحكا جاء زيد. وفي الإستثناء قولك :ما قام إلا زيدا أحد، والأصل: ما قام أحد إلا زيدا.[47]

3-التحويل بالزيادة: وغالبا ما يتم في الجملة العربية زيادة حرف، ولايفسد المعنى بالإستغناء عنه، في مثل: ما زيد بقائم. ولقد عقد سيبويه في ذ لك بابا يقول فيه:"هذا باب ما يجرى على الموضع لا على الاسم الذي قبله. وذلك قولك: ليس زيدا بجبان ولا بخيلا، وما زيدٌ بأخيك ولا صاحبك : والوجه فيه الجر لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين، وليس ينقض إجراءه عليك المعنى. وأن يكون آخره على أوله أولى، ليكون حالهما في الباء سواء كحالهما في غير الباء، مع قربه منه".[48]

ومن أنواع زيادة الحروف في اللغة العربية ما كان توكيدا، في مثل قوله تعالى:(فبما نقضهم ميثاقهم)[49]

---

[45] سورة سبأ: /51

[46] - ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1977م ص 412

[47] ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي 1982م ، 382/2 وما بعدها

[48] سيبويه : الكتاب1/66-67

[49] سورة النساء /155

بحيث زيدت (ما) للتوكيد. وقوله تعالى(عمّا قليل ليُصبحُنّ نادمين).[50] زيدت اللام للتوكيد كذلك . وزيادة الحروف كثيرة في اللغة العربية وإن كانت على غير قياس).[51]

ولا تقتصر الزيادة على الحروف فقط، وإنما هناك الزيادة في الأسماء والأفعال كذلك. وهو ما ذكره ابن فارس بقوله:"قال بعض أهل العلم: إن العرب تزيد في كلامها أسماء وأفعالا. أما الأسماء: فالإسم والوجه ، والمثل.

قالوا: فالإسم في قولنا:" بسم الله" إنما أردنا "بالله" لكنه لما أشبه القسم زيد فيه الإسم. وأما الوجه فقول القائل:" وجهي إليك". وفي كتاب الله جل ثناؤه(ويبقى وجه ربك....) وأما المثل ففي قوله جل ثناؤه(فأتوا بسورة من مثله)[52] أما الأفعال فقولهم:" كاد" في قول الأعشى:

حتى تناول كلبا في ديارهم وكاد يسمو إلى الجرفين فارتفعا

أراد " وسَمَا" الاترى أنه قال: فارتفعا".[53]

4- التحويل بالتكرار: والمراد بالتكرار الابلاغ بحسب العناية بالأمر." ومن سنن العرب التكرير والإعادة، وإرادة الابلاغ بحسب العناية بالأمر، كما قال الحارث بن عباد:

قربَ بَا مَربط النعامة منّي لقحتْ حربٌ وائلٍ عن حيال

فكرر قوله:" قربا مربط النعامة مني" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر ، وأراد الا بلاغ في التنبيه والتحذير.

كذلك قوله الأسعر الرقبان الأسدي:

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى يقول نساؤهم: هذا الفتى

---

(50) سورة المؤمنون/40

(51) انظر ابن جني: الخصائص 282/2 وما بعدها

(52) سورة الرحمن/27

(53) سورة البقرة/23

قال علماؤنا : فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله:(فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان).[54]

ويؤكد الثعالبي أيضا على أن التكرار مطرد في لغة العرب، ويأتي للعناية تارة كقول الشاعر: مهلا بني عمنا مهلا موالينا. ويأتي للعناية بتكثير العدد، كما في قوله تعالى:(أولى لك فأولى) وقوله جل شأنه: (ويل يومئذ للمكذبين)[55]

هذه هي أنواع التحويل الموجودة في اللغة العربية، والتي حاولنا استكشافها من ثنايا الكتب اللغوية المختلفة، والتي نرى أنها تماثل أنواع التحويل في النظرية التحويلية. وهناك أنواع أخرى من التحويلات، كالتحويل بالبناء للمجهول والتحويل بالإستفهام، غير أنه وجدنا غلبة الطابع النحوي عليها، فاكتفينا بالذي ذكرناه.

---

[54] ... 339 340

[55] ... 341 342